جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
الإدارة العامة للوثائق التربوية
مركز التوثيق التربوي

اختلاف المستوى الذهني من الفتيات الى الفتيان

بقلم الشاذلي الفيتوري
المدير المساعد لمكتب التربية
الدولي بجنيف

مطبعة مركز التوثيق التربوي
يوليو سنة ١٩٧٢

تقديـــــم

يسر الادارة العامة للوثائق التربوية (مركز التوثيق التربوى) بجمهورية مصر العربية ان يعيد نشر هذه الوثيقة فى اطـــــار برامجه الاقليمية المتعاقد معها مع مكتب التربية الدولى بجنيـــف وذلك لمالها من اهمية فى النهوض بتعليم الفتاة العربية وحتى تكون فـى متناول يد القائمين على تعليم الفتاة فى كل الدول العربية.

هذا ويجدر بنا ان نذكر ان اعادة النشر هذه قـــد تمت بموافقة السيد كاتب الموضوع الذى سبق ان نشرها فى العدد الاول من حولية الجامعة التونسية الصادر عام ١٩٦٤.

المديـــرة

(زينب محـــرز)

اختلاف المستوى الذهنى من الفتيات الى الفتيان

بقلم الشاذلي الفيتوري

ليس القصد من هذه الصفحات القليلة الكشف عن كل الفروق الموجودة بين الفتيات والفتيان من حيث المستوى الذهني إذ ما توفّر لدينا من إرشادات ومعلومات إلى حدّ الآن ، ومجموع التجارب (وهي قليلة) التي وقع إجراؤها لغرض غير هذا الغرض لا يمكّن من ضبط هذه الفروق بصورة موضوعية تامّة . وكلُّ ما نرجوه هو أن نكون قد أثرنا المشكلة ودعونا إلى التفكير فيها . ولربّما كان من المفيد بالنسبة إلى بلاد نامية كالبلاد التونسية أن يقع بحث هذه القضية بحثا مدقّقا يمكّن من تعديل طرقنا التربويّة تعديلا يضمن تنمية ما توفّر للنشء من استعدادات وقدرات . نقول هذا لانّ ما يلاحظ من معطيات قارّة بالرجوع إلى تجارب متباينة من حيث الطريقة والهدف يدعو إلى التفكير والتأمل . زد على ذلك أنّ هذه التجارب وقعت في فترات زمنية متباعدة (1956 1958 — 1963) ولم تؤثّر هذه المسافة الزمنية في تلك المعطيات القارة التي اشرنا إليها بالرغم من التقدُّم الملحوظ في السير نحو تعميم التعليم من سنة 1956 إلى سنة 1963 .

لذا سنحاول فيما يلي وصف هذه التجارب مع ابراز نتائجها وتحليل هـذه النتـائج .

1 – التجربة الأولى (1956) (1) .

كان الدافع إلى القيام بهذه التجربة رغبة كتابة الدولة التربية القوميـة في التعرّف على نوع التقدُّم الذي يمكـن أن يتمّ لمجموعتين من التلاميذ : احداهما تخضع للطرق التقليدية والثانية للطرق النشيطة .

وقعت هذه التجربة في المدرسة الإبتدائية بضاحية « بن عروس » حيـث يوجد جماعة من المعلمين الشبان يطبقون هذه الطرق النشيطة وكانت غاية كـتابة الدولة للتربية القومية –– عندما طلبت من مدير مركـز التوجيه الصناعـي واعـوانه القيام بهذه التجربة –– أن تتبيـّن ما هـي اسباب هذا « الخمول الظاهر في سلوك تلاميذنا وعدم القدرة على الملاحظة والمبادرة والنشاط المثمر » (2) .

وقيمة هذه التجربـة بالنسبـة إلينـا جـاءت في كـونهـا شملت مجموعتين متساويتين تقريبا من الفتيان والفتيات . ثم إن اعتبرنا أن التجربة دامت سنتيـن كاملتين تبيـّنا أنّ من المقارنة بين نتائـج الفتيان ونتائج الفتيات داخل كـلّ من المجموعتين (مجموعة الطرق التقليديـة ومجموعة الطـرق النشيطة) تتضح هـذه الفروق الموجودة بين الجنسين كما تتسنى دراسة هذه الفروق .

(1) قام بالتجربة الاولى والثـانية المـركز القومي للتوجيه الصنـاعي . واني لاغتنم هذه الفرصة لاقـدم احـر عبارات الشكر والامتنـان الى صديقي رشيد عبد الجليل الذى ساعدني على القيـام بهـذا العمل اذ مكنني من الاطلاع على مجموع الوثائق المتعلقة بهاتين التجربتين

(2) هذا ما ورد في وثيقة من وثائق المركز القومي للتوجيه الصناعي

كان مجموع الاطفال الذين شملتهم هذه التجربة يساوي 173 تلميذا موزّعين إلى مجموعتين من الفصول المتوازية (السنة الاولى من التعليم الإبتدائي) وقد اجريت عليهم جملة من الاختبارات النفسيّة المدقّقة . وتبيّن من خلال هذين الجدولين كيفية توزيع التلاميذ حسب العمر وحسب الجنس (3) .

تاريخ الولادة	على مائة طفل
1947 أو قبل هذا التاريخ....	6
1948	16
1949	41
1950	37
المجموع	100

الجنس	على مائة طفل
فتيان............	67
فتيات............	33
المجموع	100

ويلاحظ أنّه من حيث المستوى الإجتماعي والإقتصادي لا توجد فروق كبيرة بين هؤلاء التلاميذ بل كانوا كلهم من اوساط متواضعة جدا . ولو قام المركز القومي للتوجيه الصناعي قبل اجراء هذه التجربة ، بتحقيق شامل حول مستوى المعيشة لكان ذلك احسن بكثير إذ يمكّن من تصنيف التلاميذ بصورة أدق ومراعاة الفروق الموجودة بينهم لما لهذه الفروق من تأثير واضح في المستوى الذهني . لكنّه (كما سترى ذلك فيما بعد) يلوح أنّ مجرّد الترجيح لهذا المستوى يكفي من الناحية المنهجية للاحراز على نتائج مرضية بالنسبة إلى النقطة التي تهمّنا أي المقارنة بين الفتيات والفتيان من حيث النموّ الذهني .

(3) ان نسبة الفتيات الى الفتيان (33 ٪) نسبة حسنة جدا اذ هي النسبة الحقيقية التي نجدها اليوم بالرجوع الى مختلف اصناف التعليم وذلك حسب ما صرح به السيد كاتب الدولة للتربية القومية في اكتوبر 1963

وبخصوص الإختبارات النفسية التي أجريت على هؤلاء التلاميذ كانت مجموع الروائز المستخدمة هي الآتيـة :

1) اختبار « جيل » كما وقع تعديله بالنسبة إلى الاطفال المغاربة (4) .

2) « مـاتـريـكس » 1947 (Matrix 1947)

3) اختبـار « هيـلاي » Hilay

4) اختبـار « بـرودومـو » Pru-dhommeau

ووقع اجراء هذه الاختبارات بصورة فردية ما عدا اختبار « برودومو » الذي أجري بصورة جماعية وعلى مجموعات مضيّقة (5) .

وهكـذا باعتماد نتائج الاختبارات وملاحظات المعلمين وتوزيع التلاميذ حسب العمر وقع تأليف مجموعتيـن اشتملت كـل منهما على ثلاثـة فصـول . ويلاحظ أن من المجموع (أي 173 تلميذا) لم يبق الى آخر التجربة (1958) إلاّ 120 تلميذا فحسب. وهكذا تألّفت ستّة فصول لم يبلغ عدد التلاميذ في كل منهما إلاّ عشرين تلميذا الامر الذي مكّن من القيام بعمل تربوي ناجع ووَفَّرَ خاصّة ظروفا ملائمة للملاحظة . وقد وقعت مراعاة احترام النسب في تأليف هذه الفصول بين الفتيات والفتيان كما وقعت مراعاة السنّ .

ثم بعد سنتين (ولتبيّن ما حصل من تقدم لهؤلاء التلاميذ من حيث النمو الذهني) وقع اعتماد اختبار « جيل » دون بقية الاختبارات .

وبالرغم من أنّ طريقة البحث قد تلوح طريقة تقريبيّة (إذ لا يخضع النمو الذهني لمجرّد العوامل المدرسية كما أنّه لا يمكن مجرّد اختبار « جيل »

(4) Test Mosaïque de Gille adapté à la population marocaine

(5) En collectif réduit

من تقديره بصورة مضبوطة) فانّ النتائج لا تخلو من أهميّة بالنسبة إلى الموضوع الذي نعالجه . وهذا ما يتجلّى في الجداول التالية .

أ ـ نتائج مجموع التلاميذ في الاختبارات الاولى والثانية :

الرتبة على 100 تلميذ	نتائج الاختبارات الاولى (1956)		نتائج الاختبار الثاني (1958)	
	الفتيات	الفتيان	الفتيات	الفتيان
25	54،5	60	80،1	76،3
50	49	50	72،8	69،1
75	39،5	42،5	63،4	61

ب ـ نتائج المجموعتين (المجموعة الخاضعة للطرق التقليدية والمجموعة الخاضعة للطرق النشيطة) في الإختبارات الاولى والثانية .

في الاختبارات الاولى (1956)

الرتبة على 100 تلميذ	الطرق النشيطة		الطرق التقليدية	
	الفتيات	الفتيان	الفتيات	الفتيان
25	54	59	56	63
50	48	50	50	53
75	40	43	37	43

في الاختبار الثاني (1958)

الرتبة على 100 تلميذ	الطرق النشيطة		الطرق التقليدية	
	الفتيات	الفتيان	الفتيات	الفتيان
25	76	72	83	81
50	66	67	79	75
75	56	61	73	67

فمن مقارنة هذه الجداول يمكننا أن نستنتج نسبة التقدُّم الحاصل لمجموع الاطفال من جهة كما يمكننا أن نقارن بين نسبة تقدُّم الفتيان ونسبة تقدُّم الفتيات من جهة ثانية . وهذا ما يبرزه الجدول (ج) .

ج — التقدم الحاصل عند انتهاء التجربة .

الرتبة على 100 تلميذ	الطرق النشيطة: الفتيات	الطرق النشيطة: الفتيان	الطرق التقليدية: الفتيات	الطرق التقليدية: الفتيان
	التقدُّم الحاصل ونسبته المأوية (6)			
25	22 (40٪)	13 (22٪)	27 (28٪)	18 (28٪)
50	18 (37٪)	17 (34٪)	29 (60٪)	22 (41٪)
75	16 (40٪)	18 (42٪)	36 (50٪)	24 (55٪)

د — أمّا النسبة المأويّة المتوسّطة للتقدُّم الذي احرز عليه التلاميذ ومع مراعاة الجنس والطريقة المتّبعة : فقد كانت بالصورة التالية .

	الطرق النشيطة: الفتيات	الطرق النشيطة: الفتيان	الطرق التقليدية: الفتيات	الطرق التقليدية: الفتيان
٪المتوسّطة	39٪	33٪	46٪	41٪
٪المتوسطة باعتبار الطريقة	36٪		43،5٪	

(6) ضبطت هذه النسبة بالرجوع الى نتائج الاختبارات الاولى

بعض الملاحظات :

يمكّن الجدول (أ) (نتائج مجموع التلاميذ في الإختبارات الاولى والثانية) من مقارنة تقدُّم الفتيات بتقدُّم الفتيان :.

الرتبة على 100 تلميذ	تقدُّم الفتيات	تقدُّم الفتيان	تفوُّق الفتيات
25	80،1 — 54،5 = 25،6	76،3 — 60 = 16،3	9،3
50	72،8 — 49 = 23،8	69،1 — 50 = 19،1	4،7
75	63،4 — 39،5 = 23،9	61 — 42،5 = 18،5	5،4
الفـــــارق العـــــام			6،4

وهكـذا يتبيّن أنّ تفوق الفتيات على الفتيان بصورة عامّة يقدّر بـ 6،4 في حين أنه اذا عدنا إلى الجدول (ب) وجدنا الفتيات متأخّرات ، في بداية التجربة ، عن الفتيان . فتكون النتيجة أنهنّ لم يلتحقن في هذه المدّة (أي مدّة التجربة وقد دامت سنتين) بالفتيان فحسب بل تجاوزتهم ومن بعيد . وفي ذلك ما يدلُّ على نموٍّ ذهني سريع وسريع جداً .

لقد اثبت علماء النفس (7) من خلال تجارب وملاحظات طويلة أنّ الفتاة في سنواتها الاولى يكون نموُّها أسرع من نموّ الفتى . ثم يلتحق بها الفتى إثر أزمة البلوغ ويتجاوزها أو يبقى مساويا لها من حيث المستوى الذهني ويختلف ذلك باختلاف المؤثرات التربوية والجو الثقافي العام الذي يشمل الجنسين . لكنّ هذه الفروق التي لاحظها علماء النفس لا تبلغ هذا المقدار من التفاوت الذي يلاحظ بينهنّ وبينهم من خلال نتائج هذه التجربة . ثم إنّ هذا التفاوت لا

(7) وخاصة منهم العلماء الانقليز وقد تناولوا بالبحث مجموعات كبيرة من الاطفال الذين ولدوا في يوم واحد وفي مناطق كاملة من البلاد الانقليزية وقد تعرض « كارميكائيل » لذلك في كتابه « علم نفس الطفل »

يلاحظ بالرجوع إلى نتائج هذه التجربة بل ستلاحظه عند ذكر تجارب أخرى تجاوز عدد الاطفال فيها عددهم في هذه التجربة وبكثير . لذا لا يمكن أن نقتنع بما استقرّ عليه رأي علماء النفس لتفسير هذه الظاهرة بل لا بدّ لنا من الرجوع إلى مجموع من العوامل الخاصّة بالبلاد التونسية (وبقية بلدان المغرب العربي) لفهم هذا التفاوت وتفسيره . وهذا ما سنعود إليه في الصفحات الآتية .

كذلك نلاحظ من خلال الجدول (د) أن نسبة تفوّق الفتيات على الفتيان في المجموعة الخاضعة للطرق النشيطة تساوي 6٪ وأنّ هذه النسبة في المجموعة الخاضعة للطريقة التقليدية تساوي 5٪ . وممّا يزيد في غرابة هذه النتائج انهنّ اقلّية في كلتا المجموعتين وخاصّة في المجموعة الخاضعة للطريقة التقليديّة التي جاء التقدّم فيها يساوي 43،5٪ في حين أنّه لا يساوي إلاّ 36٪ في المجموعة الخاضعة للطرق النشيطة (8) .

توزيع التلاميذ حسب الجنس

الجنس	على مجموع 100 تلميذ	
	الطرق النشيطة	الطريقة التقليدية
الفتيان	63،5	72
الفتيات	36،5	28
المجموع	100	100

فكلّ هذا يثير مشكلا من أهمّ المشاكل .

(8) لا يمكن ان نستنتج من هذا ان الطريقة التقليدية تفوق الطرق النشيطة قيمة اذ لم يقع في هذه التجربة اعتبار الفروق الشخصية بين التلاميذ كما انه لم يؤخذ بعين الاعتبار ما يوجد من فروق بين المعلمين . وكل هذا من شأنه ان يؤثر في نتائج التجربة . لكنه ما يهمنا في هذا الصدد — وقد تبقى له قيمته الموضوعية بالرغم مما ذكر — هو الفرق بين مستوى الفتيات ومستوى الفتيان . وهذه المستويات قد وقع تقديرها باستخدام روائز (وخاصة منها رائز جيل) لا يتوقف النجاح فيها على المعلومات المدرسية .

بقي علينا بخصوص هذه التجربة أن نشير إلى كيفيّة توزيع التلاميذ على المجموعتين حسب العمر حتى لا يكون لهذا العامل تأثيره في قيمة النتائج .

سنة الولادة	على مجمـــوع 100 تلميـذ	
	الطـرق النشيطة	الطـريقة التقليديّة
1947 — 1948	8،5	43
1949 — 1950	91،5	57

وممّا يجدر بالملاحظة أنّ أصغر التّلاميذ سنّا كانوا احسنهم نتائج .

وقد يتبادر إلى الذهن أنّ سرعة النموّ عند الفتاة تبلغ اقصاها فيما بين السنة السّادسة والسابعة . ولربّما كان ذلك سببا في احرازنا على هذه النتائج . فرفعاً لهذا التشكّك لجأنا إلى نتائج تجربة ثانية وقع إجراؤها على 8760 تلميذا وتلميذة كان العمر المتوسّط بالنسبة إليهم يساوي 13 سنة .

2 — التجربـة الثـانية (1958) .

وقعت هذه التجربة على 8760 تلميذا موزعين على كامل مدارس الجمهورية التونسية تقريبا . وكانت المجموعة تتألف بالصورة التالية :

الفتيـــات : 2625	الفتيـــان : 6135	(9)

ونظرا لارتفاع العدد وقع الاقتصار في تقدير المستوى الذهني على اختبارين :

1) اختبار شفوي وهو « اختبار تيرمان الجماعي شكل (ب) » (10) وقد وقع التغيير من بعض جزئياته كتعويض اسم « البراس » باسم منطقة الجريد .

(9) يمكن ان نلاحظ كذلك بخصوص هذه التجربة ان نسبة الفتيات الى الفتيان تساوى 30 % وهى النسبة الحاصلة اليوم فى كامل اصناف التعليم (ما عدا التعليم العالى وقد جاءت نسبتهن قليلة جدا)

(10) Le Terman Collectif forme B.

2) اختبار « لا شفوي » وهو « اختبار الإستدلال المجرّد » (11) وهو يفحص قدرة الطفل على الإدراك والتمييز إذ يطلب منه أن يختار من مجموع أشكال الشكل المتمّم لصورة منقوصة . وقد وقع في كلّ هذا مراعاة العمر في تقدير « معدّل الذكاء المدرسي » (12) باستخدام اختبار « تيرمان » (13) .

وقد وقع ضبط سلّم هذا الإختبار باجرائه على 1096 تلميذا من تلاميذ المعاهد الثانوية بتونس موزّعين هذا التوزيع :

601 فتى و 495 فتاة

ثم من المقارنة بين نتائج الإختبار والنتائج المدرسيّة اتّضح أنّه « لا يحرز على المعدّل المدرسيّ (أي 10/20) أو ما يفوق هذا المعدّل إلاّ من كان معدّل الذكاء المدرسي (Q. I. S.) بالنسبة إليه يساوي أو يفوق 95 » (14) .

وبعد القيام بعمليات إحصائية استطاع المجربون من تأويل نتائج هذا الاختبار بالصورة التالية .

إن كان « معدّل الذكاء المدرسي » : تحت 65 يعني ذلك : تأخرا مدرسيا كبيرا .

---

(11) Le raisonnement abstrait

(12) ما يسمى بالفرنسية Le quotient intellectuel scolaire ويشار اليه بهذا الرمز Q. I. S. وضبط هذا المعدل باستخدام ما تم للطفل من معلومات مدرسية الى جانب ما توفر له من ذكاء

(13) اقتبسنا كل هذه المعطيات من وثيقة من وثائق المركز القومي للتوجيه الصناعي

(14) هذا ما ورد في الوثيقة المذكورة

إن كان « معدّل الذكاء المدرسي » : يتراوح بين 66 و85 يعني ذلك : تأخّرا مدرسيا خفيفا .

إن كان « معدّل الذكاء المدرسي » : يتراوح بين 86 و105 يعني ذلك : مستوى مدرسيا عاديا .

إن كان « معدّل الذكاء المدرسي » : يتراوح بين 106 و115 يعني ذلك : تلميذا موهوبا .

إن كان « معدّل الذكاء المدرسي » : يفوق 115 يعني ذلك : تلميذا موهوبا جداً .

وقد اجريت هذه التجربة على تلاميذ وتلميذات السنتين الخامسة والسادسة من التعليم الإبتدائي فكانت نتائجها :

	معدّل الذكاء المدرسي	الفتيان	٪
موهوب جدا _	يفوق ________ 115	34	0،54٪
موهوب ______	يساوي أو يفوق 106	134	2،20٪
عادي ______	يساوي أو يفوق 85	2390	39،40٪
متأخّر ______	تحت. ________ 85	3512	57،86٪

(15)	معدّل الذكاء المدرسي	الفتيات	٪
موهوب جدا _	يفوق ________ 115	76	2٪
موهوب ______	يساوي أو يفوق 106	122	4،60٪
عادي ______	يساوي أو يفوق 85	1081	40،40٪
متأخّر ______	تحت. ________ 85	1345	52٪

(15) لا يمكن ان تفسر هذه النسبة المرتفعة للتأخر المدرسي الا بالعوامل الثقافية المؤثرة في الطفل . وهذه العوامل لا يمكن ان تكون الا منحطة نظرا لمستوى الاسرة من الوجهة الثقافية لا في تونس فحسب بل وكذلك في كامل البلدان المتخلفة . اضف الى ذلك تكاثر التلاميذ في الاقسام وضعف مستوى المعلمين

يلاحظ من نتائج هذه التجربة البارزة في هذا الجدول أن الفتيات قد تفوّقن بكثير على الفتيان إلاّ في مستوى واحد جاءت نسبة الفتيات فيه أقل من نسبة الفتيان وهو مستوى التأخّر المدرسي . ولا يزيد هذا إلا تدعيما للملاحظات التي قمنا بها عند التعرّض لنتائج التجربة الاولى . وقد كان من المنتظر في هذه التجربة باعتبار سنّ التلميذات (13 سنة) أن يتفوّق الفتيان على الفتيات لانّ الفتاة في مثل هذا العمر تكون قد توغّلت في أزمة البلوغ الامر الذي يجعل قواها العقلية في حالة اضطراب وغموض بتأثير العوامل الانفعالية فيها تأثيرا شديدا . ولربّما كان ذلك ما جعل التفاوت بينهنّ وبينهم أقل في هذه التجربة منه في التجربة الاولى حين كان عمر الفتيات يتراوح بين 7 و8 سنوات .

3 — التجربة الثالثة (1963) .

قمنا بهذه التجربة في بداية السنة الدراسية 1962 — 1963 على مجموعة من الاطفال في السنة الاولى من التعليم الإبتدائي بلغ عددهم 521 طفلا . وكانوا موزّعين بالصورة التالية : 303 فتى و 218 فتاة .

كانت التجربة تهدف إلى ضبط المستوى الثقافي لكلّ طفل ومقارنته بمستواه الذهني الامر الذي أدّى بنا إلى استنباط تجربة خاصّة يمكن أن تُعتبَر « اختبارا ثقافيا » (16) ومقارنة نتائج هذا الإختبار بنتائج اختبار « جيل » والنتائج

(16) Un Test D'acculturation . لقد وقع عرض هذا الاختبار ونتائجه على الاساتذة « روبار باجاس » مدير مخبر علم النفس الاجتماعي بالصربون و « روني زازو » مدير مخبر علم النفس البيولوجي و « بيار اوليرون » مدير مخبر علم النفس النشوئي بالصربون فوافقوا على المنهج والنتائج

المدرسيّة من جهة ثم بمعطيات تحقيق مدقّق تناول الطفل واسرته من حيث المستوى الإجتماعي والمستوى الإقتصادي والمستوى الثقافي .

كذلك ، وحرصا منا على صحّة نتائج التجربة ، حاولنا أن تكون العيّنة تمثّل كامل المستويات « الإجتماعية — الثقافية » الموجودة في تونس . فاعتمدنا لتحقيق هذه الغاية توزيع المدارس من الناحية الجغرافية على مختلف احياء المدينة : فمن الاحياء الهامشيّة (بمدرسة نهج علي طراد) إلى مركز المدينة (بفرع الصادقية القصبة) نستطيع أن نحرز على كامل المستويات الإقتصادية والثقافية الموجودة اليوم لا في تونس العاصمة فحسب بل وكذلك في كامل تراب الجمهورية إذ جاءت طبقات السكّان في العاصمة تاليفا لمختلف الطبقات الإجتماعية في البلاد التونسية .

ثم ما دمنا في غنى عن توضيح علاقة المستوى الثقافي بالنموّ الذهني (17) ثم علاقة هذا المستوى بقدرة الطفل على التعبير (18) فكرنا في ضبط مجموعتين

---

(17) لقد اوضح ذلك بصورة نهائية « روني هوبار فى كتابه النمو الذهنى » الجزء الثانى ص 627 اذ قال : « ان العوامل الاجتماعية المؤثرة فى النمو (الذهني) هى فى جوهرها عوامل ثقافية وليست مجرد تفاعل عوامل طبيعية ».« CF : R. Hubert : La Croissance Mentale « P.U.F. 1949 ».

(18) نقول القدرة على التعبير لانه يوجد فرق بين ما يفهمه الطفل من كلام وما يكون قادرا على استخدامه من ذلك الكلام عند ما يلجا الى التعبير . وقد اثبت « بياجي » و « دى لاكروا » وغيرهما ما هى علاقة الفهم بالاستعمال فى لغة الطفل وان الاستعمال يقتضى اقصى درجات الفهم . بل اكثر من ذلك : ما لم يكن اللفظ يشير الى معطى من معطيات تجربة اساسية قام بها الطفل فى طور من اطوار نموه فانه لا يكون قادرا على استخدامه، اذن يمكن ان نقول اننا عكسنا السير فى هذه التجربة بان حاولنا التعرف على هذه التجارب من خلال تعبير الطفل(Son langage expressif) لا من خلال ما يفهم من كلام فحسب (Son langage impressif)

من الصور احداهما تمثل أشياء معهودة لدى الطفل (او تلوح كذلك) والثانية تمثّل جملة من الافعال البسيطة (19) .

ثم قُدِّمت هذه الصور لكلِّ طفل على حدة بمحضر مجرِّبين أحدهما يقدِّم الصور ويسهر على آلة « الكرونوماتر » لضبط الحدود الزمنية (20) التي ينهي فيها كلُّ طفل تجربته ، والثاني يرسم على ورق خاص ارقام الصور التي لم يتعرَّف عليها الطفل كما يرسم مجموع الملاحظات المتعلّقة بلغته (يُسْرُ التعبير أو عسره — اضطرابات اللغة وأمراضها في بعض الاحيان — موقف الطفل من بعض الصور الخ...) .

وتظهر نتائج هذه التجربة بصورة واضحة في الخطوط البيانية التي تلي هذا المقال وقد ضبطنا على خطِّ الفاصلة الزمنَ مقدَّرا بالثواني والدقائق وصنّفنا على خط الترتيب مجموع الاطفال من كلِّ فصل ومن أسفل إلى أعلى باعتبار معطيات التحقيق من جهة (21) وعدد الصور التي لم يدركها الطفل (22) من جهة ثانية .

---

(19) لقد ميزنا بين الاشياء والافعال حتى تتسنى لنا دراسة مظهرين اساسيين من لغة الطفل : ما يسمى « بالكلام القار » (le langage statique) اى الاسماء من جهة « والكلام المتحرك » Le langage dynamique اى الافعال من جهة اخرى .

(20) تراعى هذه الحدود الزمنية لانه لم يطلب من الطفل ان يتكلم بصورة حرة لكى نتامل كلامه بل طلب منه ان **يدرك** الصورة اولا وان يتكلم ثانيا . فسرعة الادراك هنا لها قيمة كبرى من حيث تقدير المستوى الذهنى .

(21) قدرنا المستوى الاقتصادى والمستوى الاجتماعى والمستوى الثقافى بارقام اصطلاحية حسب سلم موحدة بالنسبة الى كل الاطفال . ولو اتسع المجال لنقوم بتحقيق مدقق حول مستوى العيش لكل اسرة لكان ذلك احسن وادق .

(22) لذلك كان احسن الاطفال (اى من كان عدد الصور المجهولة لديه قليلا) اقربهم الى الصفر على خط الترتيب . لان الرتبة قدرت بضرب العدد الاول (مجموع المستويات المشار اليها فى (21))فى الثانى (اى عدد الصور المجهولة) .

يلاحظ من خلال نتائج هذه التجربة ومعطيات التحقيق أن أنجب التلاميذ احسنهم مستوى اقتصادي . وقد يلوح هذا الربط بين المستوى الإقتصادي والمستوى الثقافي ربطا مصطنعا . الا أنّه ليس كذلك بالنسبة إلى البلاد المتخلفة التي يكون ثمانون بالمائة من سكّانها في صراع مستمر مع مشاكل القوت اليومي . فكيف السبيل إلى الثقافة ووسائل التثقف في مثل هذه الحالات ؟ فكلّما انحدرنا تحت مستوى اقتصادي ادنى معيّن تبخّرت كلّ وسائل التثقيف وانحطّ مستوى الاسرة فتبعه بصورة حتميّة مستوى الطفل .

على كل وبالرغم من أن هذه المعطيات واحدة بالنسبة إلى الفتيان والفتيات فاننا نلاحظ بصورة واضحة تفوُّق الفتيات على الفتيان . فبماذا يفسّر هذا التفوُّق ؟

إنّه لمن الصعب جداً أن يحاول الإنسان تفسير هذه الظاهرة وهو لا يستند إلاّ إلى معطيات جزئية كهذه المعطيات إذ لو اردنا أن يكون التفسير تفسيرا علميّا بالمعنى الصحيح لاقتضى ذلك دراسة عمودية (23) تتناول بالملاحظة والتجريب آلافا وآلافا من الاطفال (لا بعض المئات) ومدة سنوات وسنوات (لا سنتين) . لكنّه ما دمنا قد احرزنا على بعض النتائج وريثما تتوفّر شروط هذه الدراسة نستطيع أن نفسّر هذه الظاهرة بأن نرجعها إلى :

1) الفرق من حيث سرعة النموّ الجسدي والنفسي بين الفتيات والفتيان . وقد اشرنا إلى ذلك في بداية هذا المقال وبيّنا أنّه لا يمكن الإكتفاء به .

(23) Une étude longitudinale

2) الحـــرمـان (La frustration)

إنّ الحرمان المسلّط على الفتـاة في الاسرة ومكـانتهـا إلى جانب أخيهـا أو اخوتها قد يُظنّ أنّه يؤدّي بها بصورة حتميّة إلى تذبذب الشخصيّة والإندثار . لـكنّه كـثيرا ما يحصل العكـس إذ يـكـون من نتيجة هذا الحرمان الذي تقاسية الفتاة في البيت أن تتولّد في نفسها دوافع كـبيرة (24) عندما تخرج إلى المدرسة . فينتج عن ذلك تعطش كـبير إلى المعرفة وازدياد في القدرة على الإدراك والحفظ . هذا ما نفهم به أنّه عندما ننظر في نتائج كـثير من الفتيات الفقيرات نجـدهـا مساوية أو تفـوق نتـائج كـثيـر من الفتيـان الذين يتمتّعـون بمستوى ثقـافي واقتصادي حسن .

2) عقـــدة « إلـكـترا » (25) .

يـكـون الفتى طبقا لعقدة « اوديب » لا يقاسي من الحرمان والتوتّر النفسـي ما تقاسيه الفتاة إذ يـكـون اتصاله بأمّه ومنذ الولادة اتصـالا دائمـا في حين أن الفتاة لا تتصل بأبيها إلاّ في مناسبـات قليلـة ثم قلّ ما يـكـون هذا الإتصـال ملائما للنفس . فيحدث لها عند مغادرتها البيت وخروجها إلى المدرسة نوع من سلوك التعويض يجعلها انشط من الفتى وأكـثر منه قابلية .

(24) De grandes motivations

(25) Le complexe d'Electre وهو مـا يسـوى عقـدة او ديـب عنـد الفـتى « الكترا » هي ابنـة « آقاميمنون » Agamemnon اجتهـدت فى حمـل اخيها « اوراست » Oreste على قتل امها لتثار لابيها .

3) العـــادات والتقـــاليد :

يمكـن أن نقول بصورة إجمالية إنّ الفتاة التونسية تحمل في البيت عبء هذه العادات والتقاليد التـي لم تجعل « الرجال قوامين على النساء » فحسب بل عملت على محق الانثى إلى جانب الذكر سـواء كان هذا الذكر أباها أو أخاهـا . كـلّ هذا ربما يجعلنا نفهم لماذا كان هذا الجيل من الفتيات (اللاتـي توفّرت لهنّ فرصة التعلّم وفرصة الفرار من البيت إلى المدرسة حيث يوجد نظام قائم على مبدا العـدل) يبـرهن على استعـداد متزايد للتثقّـف وقـدرة على الرفـع من مستواه الذهنـي . فكـلّ ذلك يمكـن أن يُعتبر أيضا مظهرا من مظاهر سلوك التعويض. فكـأنّ الفتاة تريد (بصورة شعورية) أن تقيم الدليل لاخيها ولابيها (باعتبارهما يمثلان جنس الذكـور) أنها قادرة على الالتحاق بهما وزيادة .

ثم حتّى وإن لم تُصبح هذه المنافسة امرا واضحا في سلوك الفتاة فانّه يمكن أن يُفسّر كـذلك تفوّقُها على الفتيان بمجموع الميول « النرجسية » (25) التي تشتدُّ عند الفتاة في سنّ الطفولة الثالثة اكثر ممّا تشتدُّ عند الفتى . فهو نوع من النرجسية الفكـريّة (26) يجعلها لا تريد النجاح فحسب بل ترغب في النبوغ حتى تفخر بذلك على أمّها أوّلاً (إن كانت جاهلة) وعلى أخواتها وقريناتها (إن كـنّ جاهلات كـذلك) . ويـكـون كـلُّ ذلك ، بالطبـع ، بصورة لا شعوريّة إذ هو مظهـر مشتقٌّ من مظاهر عقدة « إلكـترا » .

(25) Les tendances narcissiques

(26) Un certain narcissisme intellectuel

4) التـــاريـخ :

حتى وإن كـنت لا أرتاح إلى هذا النوع من التفسير إذ يلوح أقـرب إلى التفسير الفلسفـي منه إلى التفسير العلمـي فانّـي اعتبره مجرّد افتراض من الناحية المنهجية قد تُصبـح له قيمة لو استطاع جماعة من الباحثين (وفي نطاق علـم النفس الإجتمـاعـي) أن يقومـوا بمقـارنات بين مـواقف (Les attitudes) الفتـاة التونسية ومواقف الفتاة الفرنسية مثلا من المؤسّسات والعوامـل الثقافية والتربويّة .

يمكـن أن نقول إذن إن الفتاة بتفوّقها هذا كـأنّها تريد لا أن تثأر لنفسها فحسب بل وكـذلك لاجيال وأجيال من الفتيات اللاتي لم يسعفن بحظهنّ في التعلّـــم .

5) الاتصـــال بالغيـر (La relation avec autrui)

ما أن يبلغ الفتى الرابعة أو الخامسة من العمر وقبل دخوله المدرسة تجده قد انضمّ إلى مجموعة اطفال كـلـّهم في سنّ واحدة وعلى مستوى ذهني واحد . في حين أنّ الفتاة تلازم البيت وتـكـون بذلك على اتصال دائم بالـكـهول الامر الذي يجعلهـا تغنم في بدايـة نموّها من مستواهـم الذهنـي . لـكـنّ غنمها من الـكـهول (إن كانوا أمّيين) لا يتجاوز مستوى معينا سرعان ما تتجاوزه إن قدّر لهـا أن تتعلّـم .

6) تحمـّـل المسؤوليـات

تُحمَّل الفتاة منذ الصغر (وحتّى في الاوساط الراقية) مسؤوليات لا يُحملها الفتى فيكـون ذلك ممّا يجعل نُضجها (27) اسرع بكـثير من نضج الفتـى . فهـي تعين على تدبير شؤون المنـزل وتسهر على اخوتها الصغار الخ...

7) الإذاعـــــة

كـثيرا ما اعتبر المربّون الإذاعة عاملا من عوامل تشتيت الانتباه بالنسبة إلى التلميذ . فان صحّ ذلك بالنسبة إلى الفتى الذي يقضّـي كامل يومه في مجموعة الاطفال ثم يدخل البيت في الاوقات التـي تضرب فيها عليه المراقبة للقيام بدروسه فيلجأ إذّاك إلى الاستماع إلى المذياع ويهمل الدروس فانّ هذا لا يصحُّ في شأن الفتاة التـي لها من الوقت (وهـي تقضّـي جلّ اوقاتها في البيت) ما يمـكّنها من القيام بدروسها والاستماع إلى الاذاعة معا . ثم قبل أن تصبـح لها دروس اي قبـل أن تدخـل المـدرسة كـانت تستمع إلى هذه الاذاعـة طيلـة اليوم وبدون انقطاع (28) حين كان أخوها يشارك الصبيان ألعابهم . فبالرغم ممّا يمكـن أن يوجـّه من انتقاد إلى البرامج الإذاعيـّة فانها تبقى – بالنسبة إلى الفتاة ومن حيـث العناصر الثقافية التـي اشتملت عليها الحصص (زيادة على اللغـة التـي جـاءت اكـثر تهذيبا من لغة الشارع) – من اهم العوامل التـي يمكـنُ أن نفسّـر بهـا تفوُّق الفتيات على الفتيان .

---

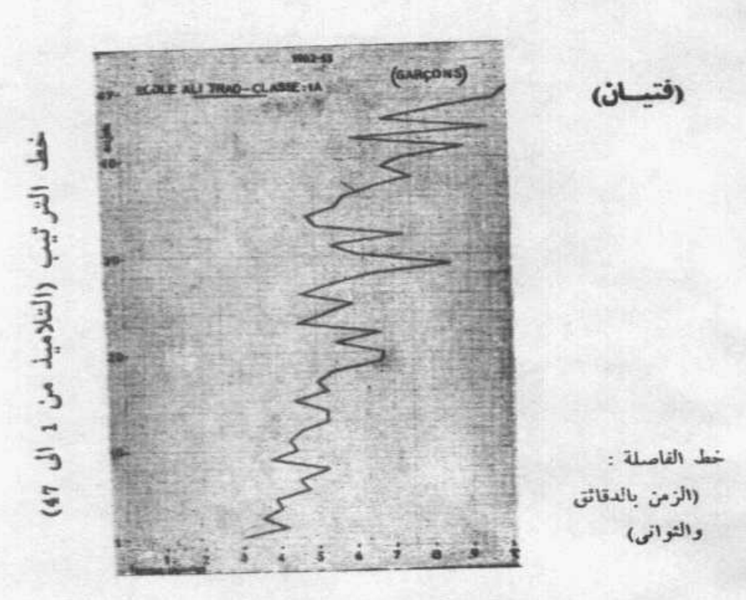
(27) نريد بهذه الكلمة ما يساوى الكلمة الفرنسية maturation لا maturité

(28) يظهر ان هذه الظاهـرة ظاهرة خاصـة بسـكان بلدان حـوض البحـر الابيض المتوسط !

كل هذا يجعلنا نلفت نظر المربّين إلى ظاهرة ربّما تجاهلها الكثير منهم .

إن كانت التربية اليوم ترمي إلى تنمية مدارك الإنسان والرفع من مستواه اكثر فأكثر فهلاّ يكون من واجبنا أن نعيد النظر في اساليبنا التربويّة وفي برامج تعليمنا خاصة عندما تعنى هذه التربيّة بالفتاة وقد توفّر لها من الإمكانيات ما يجعلها قادرة على تجاوز مستواها الحالي ؟ ثم إن اقتنعنا بهذا التفاوت الموجود بينهنّ وبينهم فهلاّ يكون من الاصلح أن نخصّهن (على الاقلّ في المرحلة الإبتدائية) بطرق تربوية وببرامج للتعليم تكون أقرب إلى ما لهنّ من استعدادات ؟

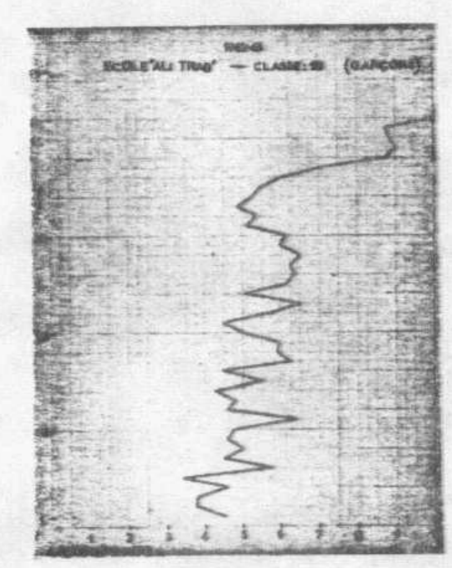
مجمـوع الخطوط البيانيـة الدالة على نتائـج التجربة الثالثـة



يمثل هـذا الخط البياني نتـائج تلاميذ السنة الاولى (أ) من مدرسة نهج « علي طراد » والملاحظ ان هذه المدرسة تقع على هامش حي « مونفلوري » بالقـرب من اكـواخ السيدة المنوبية وبرج على الرايس . فنسبة التلاميذ الفقراء فيها مرتفعة جدا . ونـلاحظ من خـلال هـذا الخط البياني ان التلميذ الاول انهى تجربته في الدقيقة الثالثة في حين ان التلميذ الاخير لم ينهها الا في الدقيقة الخامسة عشرة . وقد اضطررنا الى قطع الخط البياني لعدم اتساع الورق

(فتيـان)

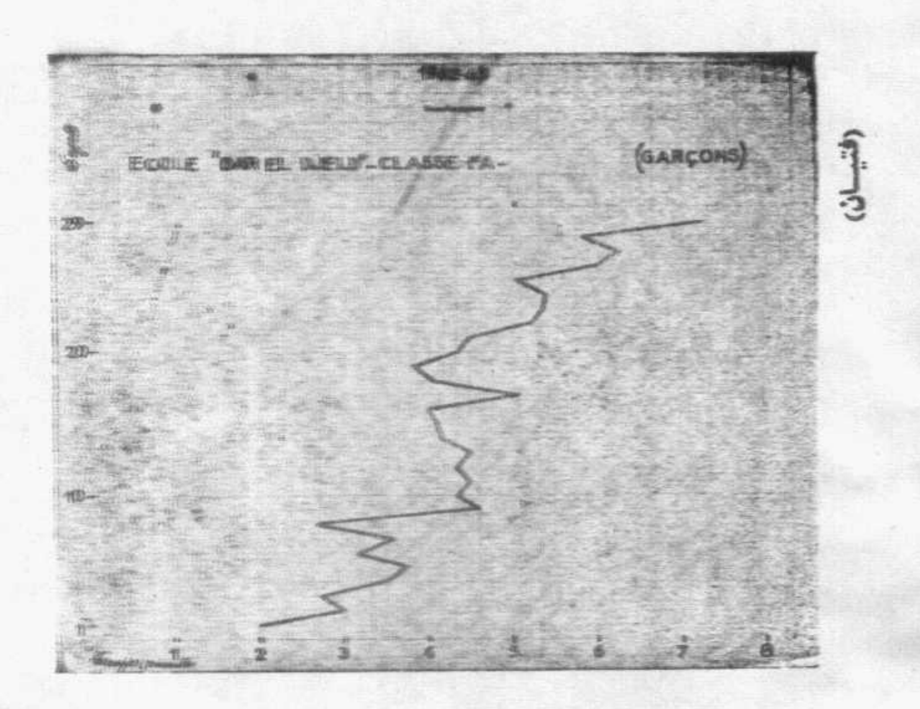
خـط الترتيب : (التلاميذ من 1 الى 47)



خط الفاصلة : (الزمن بالدقائق والثوانى)

مدرسة نهج على طراد ـ السنة الاولى (ب)

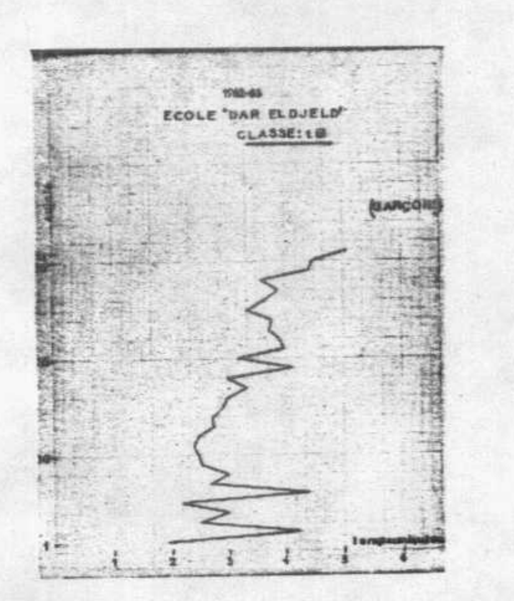
يلاحظ فى هذا الفصل والفصل الذى تقدمه ان عدد التلاميذ مرتفع جدا (47) ولا يستبعد ان يكون ارتفاع هذا العدد بالاضافة الى انحطاط المستوى الاقتصادى والمستوى الثقافى هـو الـذى يفسر هذه النتائج الرديئة التى احرز عليها التلاميذ من خلال هذه التجربة . فالتلميذ الاول فى هذا الفصل ياتى فى النقطـة الخامسة من الخط البيانى وقد انهى تجربته بعد ثـلاث دقائق ونصف فى حين ان الاخير لم ينهها الا بعد الدقيقة العاشرة



(فتيان)

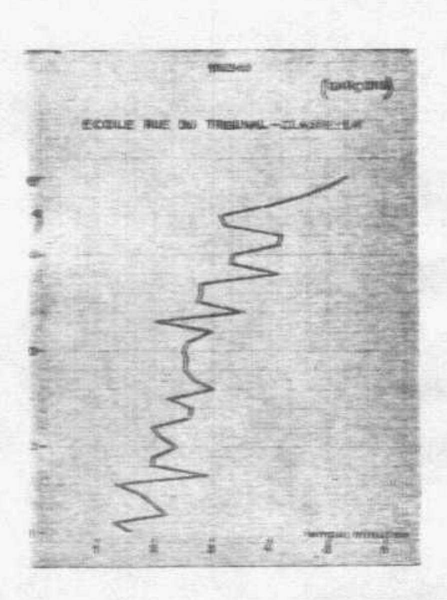
السنة الاولى (أ) من مدرسة دار الجلد وتقع هذه المدرسة داخل المدينة بالقرب من ساحة الحكومة . وجل تلاميذها من الطبقات المتوسطة من حيث المستوى الاقتصادي والمستوى الثقافي . يلاحظ في هذا الفصل ان عدد الاطفال قد انحدر الى 29 كما ان الحدود الزمنية للتجربة قد انخفضت بصورة ملحوظة اذ هي تتراوح بين دقيقتين وسبع دقائق . من هذه المعطيات يمكن ان نتساءل : هلا يكون ارتفاع عدد التلاميذ في الفصول مؤثرا لا في نتائجهم المدرسية فحسب بل وكذلك في مستواهم الذهني ؟

(فتيــان)



السنة الاولى (ب) من مدرسة نهج دار الجلد بلغ عدد التلاميذ فى هذا الفصل 31 . الا ان النتائج فى هذا الفصل احسن منهــا فى الفصل (أ) اذ تراوحت الحدود الزمنية للتجربــة بين دقيقتين الا سدس وخمس دقائق وسدس

(فتيـان)

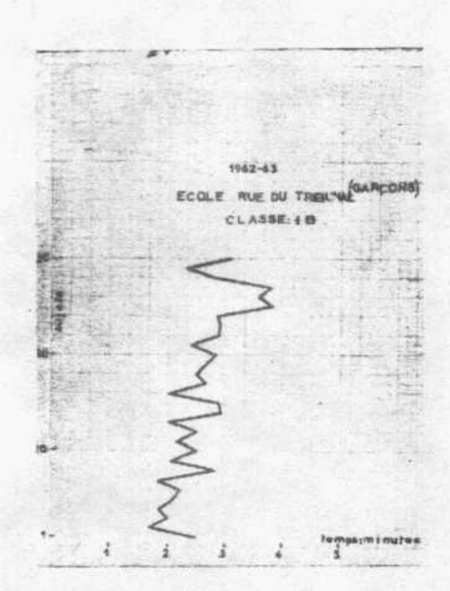


السنة الاولى (أ.) من مدرسة « نهج الحكمة » وهي اقدم مدرسة فى تونس العاصمة . تحتل هذه المدرسة قلب المدينة العتيقة وجل تلاميذها من ابناء العائلات التونسية القديمة التى وان تدهورت اوضاعها من الناحية الاقتصادية فقد بقيت محافظة على سنتها الثقافية (1)

---

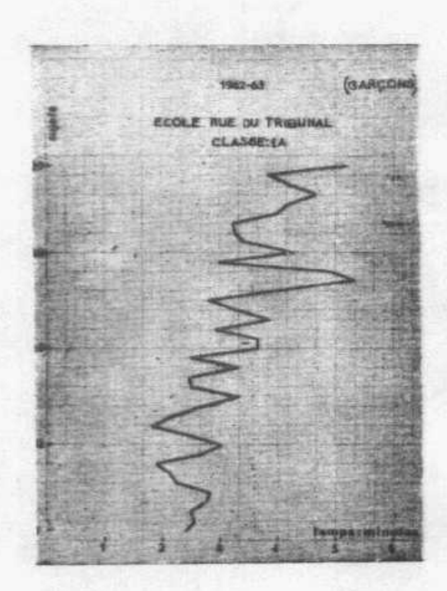
(1) نستخدم هذا اللفظ (لفظ ثقافة) فى معناه النسبي الشامل لكامل مظاهر حياة القوم

(فتيــان)



السنة الاولى (ب) من مدرسة « نهج المحكمة » يلاحظ بالاضافة الى ما تقدم ان الحدود الزمنية للتجربة اصبحت لا تقـارن بما هى عليه فى فصول مدرسة نهج على طراد . فهى تتراوح فى هذا الفصل بين دقيقة وثلثين واربع دقائق الا ثلث . عدد التلاميذ فى انخفاظ .

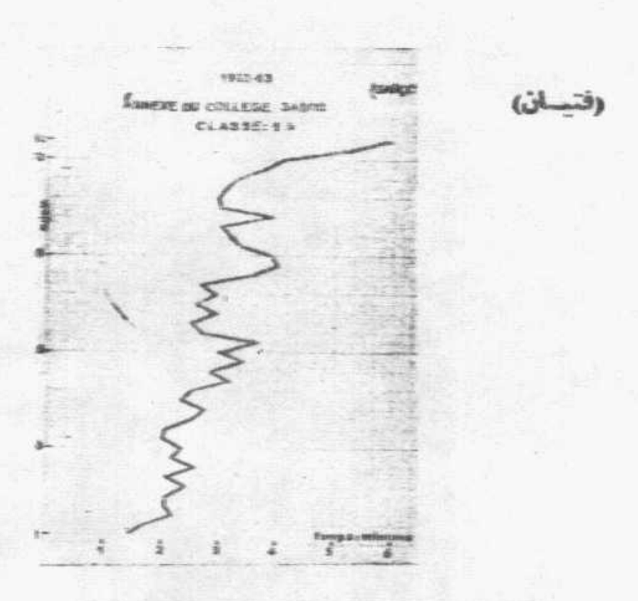
(فتيــان)



السنة الاولى (أ) من مدرسة نهج المحكمة .

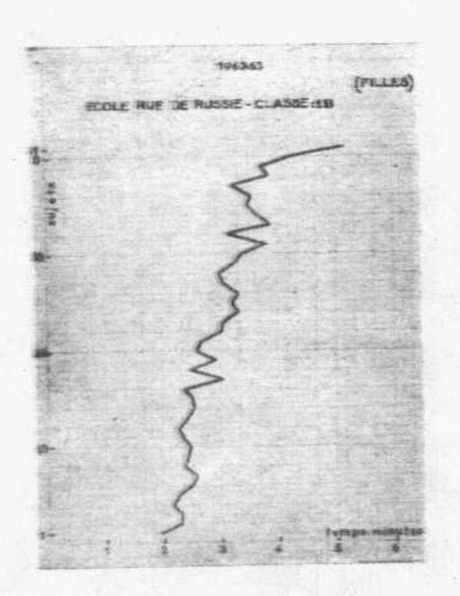
بالرغم من ارتفاع عدد التلاميــذ فى هذا الفصل (39) فان الحدود الزمنية للتجربة ما زالت حسنة ، اذ انهى التلميذ الاول (وهو يقع فى النقطة الثامنة من الخـط البياني) تجربتـه قبل الدقيقة الثانية .

(فتيـان)



السنة الاولى (أ) من فرع المدرسـة الصادقية وقد بلغ عـدد التلاميـذ فيه 42 فبالـرغم من ارتفاع عـدد التلاميذ تـلاحظ انه باستثناء التلميذين الاخيرين تبقى الحدود الزمنية للتجربة متراوحة بين دقيقة وثلث واربع دقائق . لكن هذا لا يؤدى الى مناقضة الراى الذى ابديناه بخصوص ارتفاع عدد التلاميذ فى الفصول وتاثير ذلـك فى المستوى الـذهنى اذ جل تلاميذ هذه المدرسة من عائلات لها مستوى ثقافى واقتصادى مرتفع .

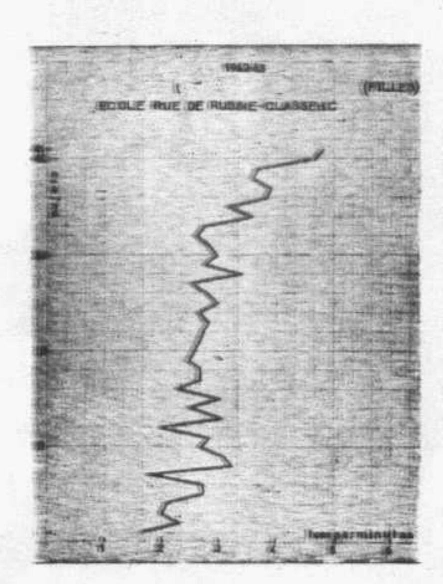
(فتيـات)



السنة الاولى (ب) من مدرسة نهج روسيا للفتيات وقد ارتفع عدد التلميذات فيه الى 41 .

يلاحظ بخصوص مدارس الفتيات ان التوزيع الجغرافي لهذه المدارس لا يطابق اختـلاف مستويات التلميـذات من الناحية الثقافية والاقتصادية كما هو الشان بالنسبة الى مدارس الفتيان اذ لا توجد مـدرسـة للفتيـات فى كل حى من احياء المدينة . فبالرغم من كل هذا جاءت الحدود الزمنية للتجربة تتراوح بـين دقيقتين وخمس دقائـق . ومـما يجدر بالمـلاحظة هو ان الخط البيانى اصبح قريبا من الخط العمودى وهذا يعنى انه لا يوجد اختلاف كبير بين التلميذات من حيث المستوى الذهنى بالرغم من الفروق الموجودة من حيث المستوى الاقتصـادى والمستوى الثقـافى .

(فتيــات)

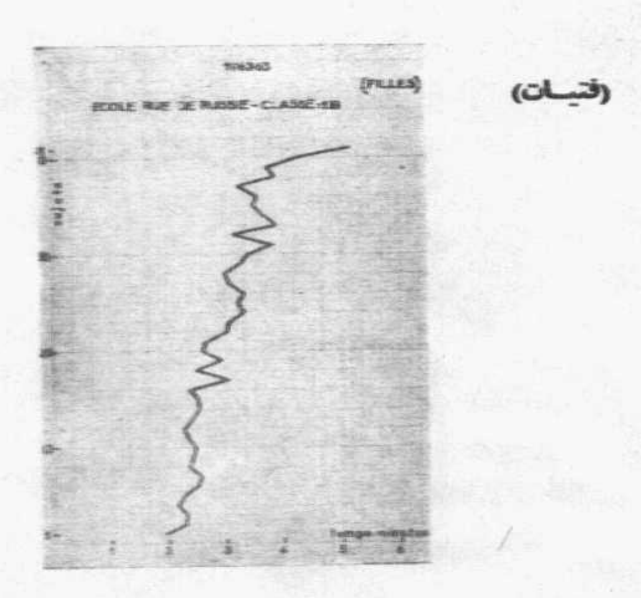


السنة الاولى (ج) من مدرسة نهج روسيا للفتيات. ما قيل فى الفصل (ب) من هذه المدرسة يقال فى هذا الفصل مع الملاحظة ان التلميــذة الاخيــرة فى هذا الفصل تســاوى من حيث زمن التجربة التلميذ الاول من السنة الاولى (ب) لمدرسة على طراد .

ثم ان النتائج الجملية لتلميذات مدرسة نهج روسيا (١) تدل عند مقارنتها بمختلف نتائج الفتيان على ان الفتيات يفقن الفتيان ومن بعيد بالرغم من ارتفاع عددهن فى الفصول .

(١) وكذلك نتائج تلميذات مدرسة نهج الملاء (انظر الصفحتين المواليتين)

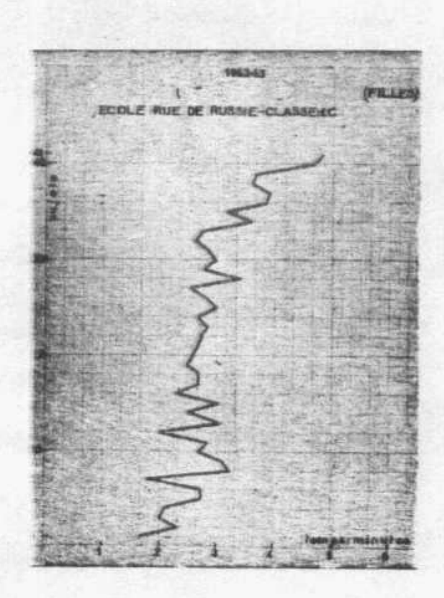
(فتيـات)



السنة الاولى (ب) من مدرسة نهج روسيا للفتيات وقد ارتفع عدد التلميذات فيه الى 41 .

يلاحظ بخصوص مدارس الفتيات ان التوزيع الجغرافي لهذه المدارس لا يطابق اختـلاف مستويات التلميـذات من الناحية الثقافية والاقتصادية كما هو الشان بالنسبة الى مدارس الفتيان اذ لا توجد مـدرسـة للفتيـات في كل حي من احياء المدينة . فبالرغم من كل هذا جاءت الحدود الزمنية للتجربة تتراوح بـين دقيقتين وخمس دقائـق . وممـا يجدر بالمـلاحظة هو ان الخط البياني اصبح قريبا من الخط العمودي وهذا يعني انه لا يوجد اختلاف كبير بين التلميذات من حيث المستوى الذهني بالرغم من الفروق الموجودة من حيث المستوى الاقتصـادي والمستوى الثقـافي .

(فتيـات)



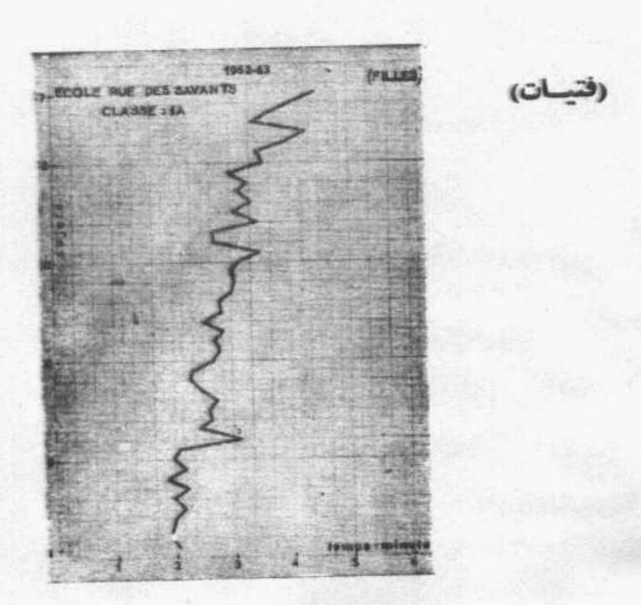
السنة الاولى (ج) من مدرسة نهج روسيا للفتيات. ما قيل فى الفصل (ب) من هذه المدرسة يقال فى هذا الفصل مع الملاحظة ان التلميـذة الاخيـرة فى هذا الفصل تسـاوى من حيث زمن التجربة التلميذ الاول من السنة الاولى (ب) لمدرسة على طراد .

ثم ان النتائج الجملية لتلميذات مدرسة نهج روسيا (1) تدل عند مقارنتها بمختلف نتائج الفتيان على ان الفتيات يفقن الفتيان ومن بعيد بالرغم من ارتفاع عددهن فى الفصول .

---

(1) وكذلك نتائج تلميذات مدرسة نهج العلماء (انظر الصفحتين المواليتين)

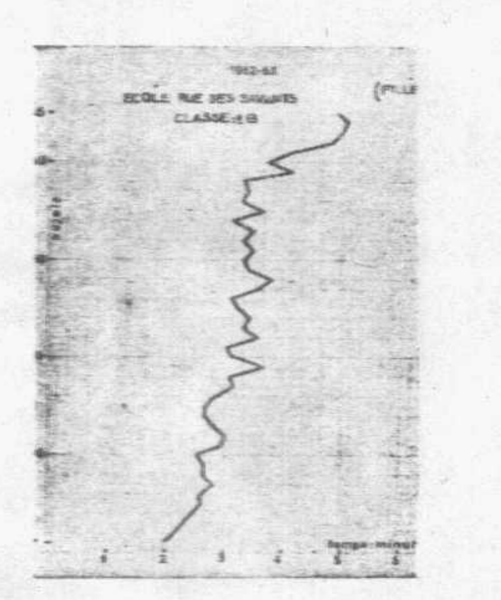
(فتيــات)



السنة الاولى (ج) من مدرسة نهج روسيا للفتيات . ما قبل التلميذات فيهـا 47 اى نفس العـدد الذى وجدنـاه فى فصول مدرسة علي طراد .

يلاحظ ان جل التلميذات فى هذه المدرسة فقيرات اذ اكثرهن من حى السيدة المنوبية . وبالرغم من ذلك فقد جاءت الحـدود الزمنية للتجربة تتراوح بين اقل من دقيقتين واربع دقائق وثلث فكانت اخيرتهن تفق اولهم فى مدرسة علي طراد !

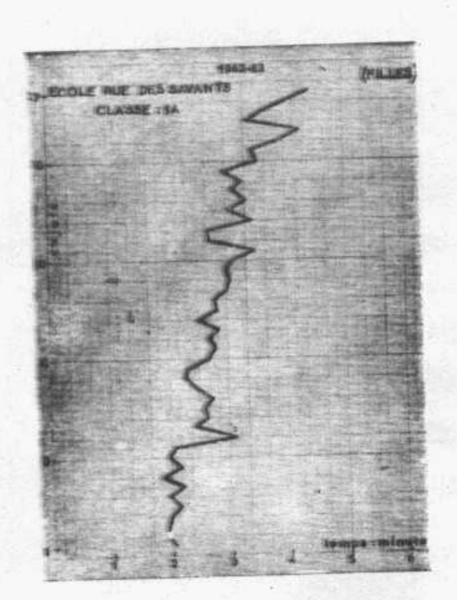
(فتيـات)



السنة الاولى (ب)من مدرسة نهج العلماء .

نفس الملاحظات المتقدمة .

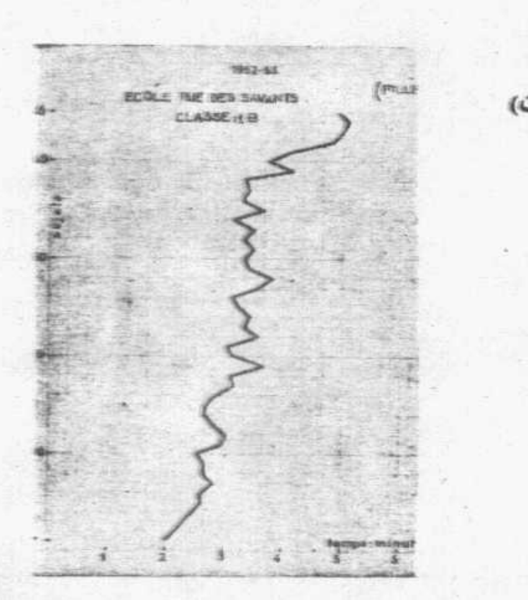
(فتيـات)



السنة الاولى (ج) من مدرسة نهج روسيا للفتيات . ما قبل التلميذات فيهـا 47 اى نفس العـدد الذى وجدنـاه فى فصول مدرسة على طراد .

يلاحظ ان جل التلميذات فى هذه المدرسة فقيرات اذ اكثرهن من حى السيدة المنوبية . وبالرغم من ذلك فقد جاءت الحـدود الزمنية للتجربة تتراوح بين اقل من دقيقتين واربع دقائق وثلث فكانت اخيرتهن تفق اولهم فى مدرسة على طراد !

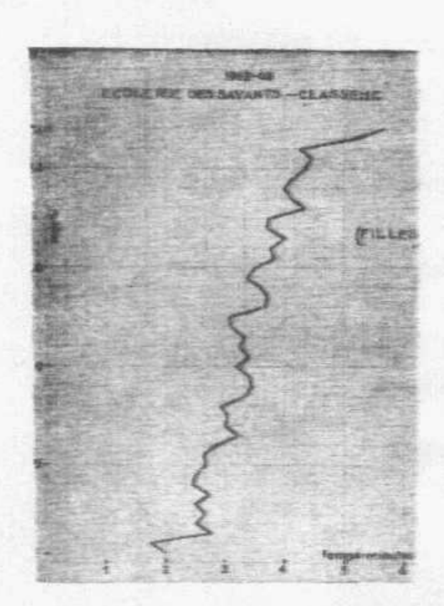
(فتيـات)



السنة الاولى (ب)من مدرسة نهج العلماء .

نفس الملاحظات المتقدمة .

(فتيـات)



السنة الاولى (ج) من مدرسة نهج العلماء .

يلاحظ ان الفـرق بين التلميـذة الاولى والتلميـذة الاخيرة ضئيل جدا . فهن مؤتلفات من حيث المستوى الذهنى بالرغم من اختلافهن من حيث المستوى الاقتصادى والمستوى الاجتماعى. ثم يلوح ان ارتفاع العدد فى الفصول لا يؤثر فيهن كما يؤثر فى الفتيان وفى ذلك دليل آخر على تفوقهن عليهم .

الشاذلى الفيتورى